

أضواء البيان

@ 53 @ .

وتطلق على يوم القيامة كما هنا في هذه الآية لدلالة القرآن على ذلك ، من ذلك قوله تعالى في نفس المعنى : { يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّسَمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا } . .

والقرائن في الآية منها : اكتنافها بالحث على تقوى الله قبله وبعده . .
ومنها : التذيل بالتحذير في قوله : { إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } أي بالمقاصد في الأعمال وبالطواهر والبواطن ، ولأن يوم القيامة هو موضع النسيان ، فاحتاج التنبيه عليه . .

ويكون التعبير عن يوم القيامة بغد لقرب مجيئه وتحقق وقوعه كقوله تعالى : { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } ، وقوله : { وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } . .

ومن ناحية أخرى ، فإن الغد لكل إنسان بمعنى يوم القيامة يتحقق بيوم موته ، لأنه يعاين ما قد قدم يوم موته ، وقد نكر لفظ نفس وغد هنا ، فقليل في الأول لقلة من الناظرين ، وفي الثاني لعظم أمره وشدة هوله . .

وهنا قد تكرر الأمر بتقوى الله كما أسلفنا مرتين ، فقليل للتأكيد ، قاله ابن كثير ، وقيل للتأسيس ، قاله الزمخشري وغيره . .

فعلى أنه للتأكيد ظاهر وعلى التأسيس يكون الأول لفعل المأمور والثاني لترك المحذور ، مستدلين بمجيء موجب الفعل أولاً { وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مِّمَّا قَدَّسَمَتْ } ، ومجيء موجب التحذير ثانياً { إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } . .

وهذا وإن كان له وجه ، ويشهد للتأكيد قوله تعالى : { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ }
تُقَاتِيهِ { وإن كانت نسخت بقوله : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } فيدل لمفهومه قوله : { وَءَاخِرُونَ اءْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخِرًا سَيِّئًا } أي بترك بعض المأمور ، وفعل بعض المحذور . .

وعليه فلا تتحقق التقوى إلا بمراعاة الجانبين ، ولكن مادة التقوى وهي اتخاذ الوقاية مما يوجب عذاب الله تشمل شرعاً الأمرين معاً لقوله تعالى في عموم اتخاذ الوقاية { قُوا }